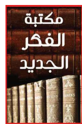
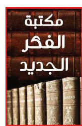
الساعة

(لوحة مسرحية)




مكتبة
الفكر
الجديد

شخصيات اللوحة

- الكاتب
- زوجته
- ثلاث رجال
  الأول، الثاني، الثالث
- الرجل البدين
- زوجتاه
- أطفاله الثلاثة
- العروس والعريس
- الفتاة
- الرجل الكبير
- الرجل النائم

مقدمة المسرحية

ممثلات وممثلو المسرحية يغنون على المسرح، يتقدم أحدهم مخاطباً الجمهور..

أيها الأصدقاء

أردنا أن نختار اسماً لمسرحيتنا لكننا وبعد أن صارت المسرحية - النص - عملاً يقدم على المسرح، صرنا شركاء فيها، وصار لنا حق اختيار الاسم.

في البداية خطر ببالنا أن نسميها.. المحطة لأن الديكور يمثل محطة قطار، فتذكرنا أن هناك مسرحية غنائية للرحابنة قدمت ببيروت قبل سنوات، وهناك مسرحية عراقية بهذا الاسم قدمت ببغداد وفي أكثر من محافظة!

خطر ببالنا اسم آخر "بانتظار القطار" فالحدث الرئيس في المسرحية هو الانتظار.. وتذكرنا مسرحية "بانتظار جودو" لبكيت فخشينا أن نتهم بالعبثية! وتذكرنا كذلك مسرحية "بانتظار اليسار" لكليفورد أو ديتس فخشينا أن نتهم باليسارية!

وورد بالذهن عنوان آخر "القطار" فمرت أمامنا أحداث فيلم "القطار" الذي مثل فيه "برت لانكستر" و"بول سكافولد".. أو قد يقترب الاسم من فيلم آخر، بطولة ليلى مراد ويحيى شاهين!

"تتقدم ممثلة" لقد اقترحت عليهم اسماً آخر.. "العرب" (تساؤل من الجمهور)..

- العرب؟

- "الممثلة" نعم العرب؟

قد تستغربون من هذا الجمع بين القطار والمحطة وبانتظار جودو وانتظار اليسار وبين هذا الاسم المقترح "العرب" "يعود الممثل إلى التعليق"

هذا الجمع وارد - لكننا خشينا من أن نتهم بـ "المباشرة" وخشينا أيضاً أن نتهم بالتقليد فهناك جريدة بهذا الاسم تصدر في لندن وهي عربية ومجلة اسمها "كل العرب" وما أكثر المجلات والجرائد العربية التي تصدر في بلدان غير عربية!

"تعود الممثلة" وتعددت الأسماء والموت واحد.. عفواً! والمسرحية واحدة! حتى قر القرار بعد خلاف واختلاف وصل حد النزاعات والمهاترات والشتائم تارة وشحذ العزائم تارة أخرى، حتى تعبنا.. وأردنا أن نعرف الوقت الضائع.. فنظرنا إلى ساعاتنا.. فلم نعرف مدى هذا الوقت لأننا حين بدأنا اختيار اسم للمسرحية بدأناه دون أن نعرف وقت أو زمن البداية! "يعود الممثل".

- قلنا لماذا لا نسمي المسرحية بـ "الوقت الضائع"..؟ فخشينا مرة أخرى أن نتهم بالانحياز إلى الرياضة أكثر من انحيازنا للمسرح.

فجأة صرخ عدد ليس بالقليل.. لنسم المسرحية بـ "الساعة" فكلنا يحمل ساعة إلا واحداً كان قد نسيها في الحمام! فضحكنا كلنا واتفقنا من خلال الضحك على التسمية: الساعة!!

"تعود الممثلة"

ولكن.. هل تريدون الحقيقة؟ هناك في القلوب والصدور آراء أخرى تريد أن تسمي المسرحية بأسماء أخرى! لكن الوقت قد ضاق وبين شخصيات المسرحية المخلص والعاق..

وربما مثلت هذه المسرحية في المغرب أو الأردن أو الكويت أو في العراق.

وربما جاء الزمن الذي تؤدي فيه هذه المسرحية وممثلاتها إلى الوفاق. وآنذاك نكون قد أدينا الواجب. أو نكون قد أبقينا فوق العين الحاجب!

"يتعالى صراخ في القاعة"

- خلصونا... مللنا الكلام.

نريد المسرحية الحقيقية ذاتها سواء كان اسمها القطار أو الساعة أو المفتاح أو المحطة أو أي اسم آخر.. هلكنا..!

"ينسحب الممثلون بينما يظل ممثل واحد تحت إنارة ضعيفة يردد لواحد من المشاهدين.."

- قد تعرض المسرحية، وقد لا تعرض..

وقد يخرج الجمهور خلال العرض وقد يبقى ليصفق

"الممثلة تتدخل"

- لكننا لا نريد التصفيق فقد مللناه مثلما مللنا الكلام.. ولا نريد ثواباً لنجاح المسرحية فقد كسبناه..!

نريد حساباً عسيراً لنا إذا كانت المسرحية فاشلة! ولننتظر ما دام ضوء المسرح مظلماً بانتظار مصير المسرحية!

"محطة قطار فارغة يدخلها المسافرون تباعاً.. بينما نشاهد رجلاً قد غفا على أرضية المحطة في واجهة الجمهور، لا يتحرك طيلة عرض المشهد الأول من المسرحية لكنه يقول كلمة في نهايته"

الحياة تدب منذ دخول الشاعر والكاتب والصحفي وزوجته وتظل متدفقة مع دخول كل مجموعة.. وليس شرطاً أن يكون كل ما في المحطة واقعياً بقدر ما يكون موحياً بدلالات السلوك ومعطيات الحوار"

الكاتب: *"وهو شاعر وصحفي في ذات الوقت يدخل مع زوجته التي تبدو عليها البساطة يحملان حقيبة السفر، ما إن يضع الحقيبة حتى يحس بمعاناته"* أف، المحطة فارغة. لم يأت أحد بعد! وأنت تطلبين مني أن أعجل في المجيء حتى نسيت ساعتي وقلم حبري.

زوجته: ما علينا بالآخرين. المهم أننا وصلنا قبل وصول القطار بفترة مناسبة كي لا نقلق. أما الساعة فأنا عندي ساعة. والقلم يمكن أن نشتريه من مكتبة المحطة.

الكاتب: لا أستطيع الكتابة إلا بالقلم الذي تعودت الكتابة به

زوجته: وإذا ضاع؟

الـكـاتـب: أظل لفترة لا أكتب شيئاً..

زوجـــتـــه: نحن في سفر ولا أظنك تحتاج إليه.

الـكـاتـب: بالعكس، السفر مليء بالمفارقات والأحداث. كلها تستأهل الكتابة عنها. حتى الناس يمكن أن أسجل عنهم الشيء الكثير وقد استوحي قصيدة أو..

زوجـــتـــه: "*تقاطعه*" أعتبر هذه السفرة للراحة..

الـكـاتـب: الراحة بلا كتابة راحة ناقصة.

زوجـــتـــه: أوف منك. الكاتب يكتب أم القلم؟

الـكـاتـب: القلم جزء من الكاتب، اتركي هذا الموضوع لا أريد أن أعكر سفرتنا قبل بدايتها، سأشتري قلماً لأتعود عليه منذ الآن..

"*يتوجه إلى جهة المكتبة*"

زوجـــتـــه: "ترتب بعض أمتعة تحملها بيدها.."

"*يدخل ثلاثة رجال بأزياء مختلفة*"

الأول : جئنا في الوقت المناسب "يجلس على الحقيبة"

الثـــاني: المناسب "*يجلس أيضاً*"

الثـــالث: "*يجلس على الحقيبة دون أن يقول شيئاً، يخرج بعد لحظات علبة السعوط ويستنشق منها. يعطس*"

لأول والثاني: يرحمكم الله.

الثـــالث: أثابكم الله.

"*يعود الكاتب بحالة عصبية*"

زوجـــتـــه: ها..

الكاتب: لا توجد أقلام في المكتبة!

زوجته: ماذا يوجد إذن؟

الكاتب: أوراق بلا أقلام. وقناني بلا حبر. وحبر بلا قناني!

"الرجال الثلاثة ينظرون ويستمعون إليه"

الأول : "ينهض ويقدم له قلماً" تفضل هذا قلم.

الكاتب: شكراً، لا أريده الآن أحتاجه حين أكتب.

الأول: أنا معك في القطار قلمي تحت تصرفك.

الكاتب: شكراً.

الأول : "يعود إلى مكانه"

زوجة الكاتب: "تردد مع نفسها" مكتبة بلا قلم!

كيف يسمونها مكتبة؟

الكاتب: تحولت إلى مخزن كل ما يحتاجه المسافر موجود عدا الكتاب والورقة والقلم. عندي فكره..

زوجته: ماذا؟

الكاتب: اذهب إلى البيت ثم أعود إلى المحطة..

زوجته: لماذا؟

الكاتب: اجلب الساعة والقلم.

زوجته: مستحيل. لا يمكن ضمان ذهابك وعودتك. الطريق ليس سالكاً. والازدحام وحوادث الاصطدام والحفريات والمجاري.. و.. وقد يأتي القطار.. "*تنظر إلى ساعتها*"

لم يبق إلا نصف ساعة. اقعد

"تمسك بيده وتجلسه بجانبها"

"يدخل رجل بدين وزوجتاه بدينتان أيضاً ومعهما ثلاثة أطفال عند دخولهم تحدث ضجة مما يثير انتباه الرجال الثلاثة الذين مازالوا جالسين على حقائبهم أحدهم يدخل والثاني يشم السعوط بين فترة وأخرى والثالث يبدو وكأنه في حلم"

الـــــــزوج: *"بصوت عال"* عجلا..

الزوجـة الأولى: الحقيبة ثقيلة!

الـــــــزوج: أنت التي حشوتها بمختلف البضائع والسلع.

الأولـــــــى: هدايا.

الـــــــزوج: *"ينادي على الثانية"* وأنت

الثـــانيـــة: الأطفال متعبون..

الأولـــــــى: أبني عاقل. "تسحب ابنها إلى جانبها"

الثـــانيـــة: لم أقل من العاقل ومن غير العاقل.

الـــــــزوج: بدأ العراك قبل وصول القطار..

نرجع إلى البيت أحسن

"يهم بالعودة"

الزوجــتـــان: *"بصوت واحد"* لا.. الله يخليك. سنتصالح.

"الزوجتان تتبادلان القبلات"

الكاتب وزوجته: ينظران إليهما..

الـكـــاتـــب: آه لو كان القلم معي.. لكتبت.

الأطفال الثلاثة يركضون ويتجهون إلى سكة القطار..

الـرجـل الأول: *"يصرخ"* يا أطفال انتبهوا..

الزوجتــــان: *"تصرخان"* تعالوا.. *"تذهبان إليهم"*

زوجــة الكاتب: *"تنظر إلى ساعتها"* بعد خمسة وعشرين دقيقة

الرجل الثـاني: *(الذي يدخن ينظر إلى ساعته)*
لا بعد تسعة عشر دقيقة.

زوجــة الكاتب: ساعتي لا تخطئ. ساعة اميريكية.

الــكـــاتــب: هس.

الـــرجــــل: *"مع نفسه"* لم أسمع بساعة اميريكية
لا تخطئ الساعات المضبوطة..

الرجل الثـالث: *"والذي كان نائماً يستيقظ فجأة"* هس.

الرجل الثـاني: *"بطرافة"* أردت أن أقول ساعات قمرية
أو شمسية مثل الحروف *"يضحك"*

الرجل البــدين: *"ينظر إلى ساعته"* بقيت عشرون دقيقة.

زوجــة الكاتب: *"تهم بالرد عليه وهي تنظر إلى ساعتها.."*

الــكــاتــب: *"يمنعها من الرد وهو يهمس في أذنها"* ساعتك
ساعة محايدة سويسرية! كيف تقولين اميريكية،
لتثيري إشاعة.

زوجــــتـــــه: *"تهم بالرد عليه ومناقشته"*

الــكــاتــب: كفى.. بقيت فترة قصيرة لوصول القطار *"تتعالى
زغاريد من خارج المحطة"*

"يدخل العريس ومعه العروس"

الأطفـــال: *"يهرعون إليهما وهما يرددان بفرح"* عروس وعريس..
"الزوجتان تزغردان بعد أن كانتا تأكلان خلال وجودهما كله"

الــزوج: عيب

العــروس: *"يبدو عليها الخجل"*

العــريس: شكراً.. *"يضعان حقائبهما على طرف ويجلسان..."*

زوجة الكاتب: أزغرد أنا..

الـكـاتـب: لا. انتهت الزفة. آه لو كان معي قلمي، لكتبت قصيدة فرح لهما.

زوجـتـه: اكتب عن زواجنا أنا وأنت قبل..

الـكـاتـب: كتبت وقتها في مفكرتي أربعة سطور..

زوجـتـه: تتذكرها؟

الـكـاتـب: *"يردد"* بدأت حياة جديدة أتمنى أن تكون سعيدة، أن تكون جديدة حقاً، أن تكون غنية في عطائها الخيِّر.. أن تكون...
"يحاول التذكر"

زوجـتـه: أن تكون ماذا؟

الـكـاتـب: *"يحاول التذكر"*.. لا أتذكر الجزء الأخير..

زوجـتـه: تنسى أهم جزء فيها.

الـكـاتـب: أنتِ تذكرينه؟

زوجـتـه: كنتَ أحفظه عن قلب. كنت أكرره مع نفسي. أكرره أمام الآخرين.. ثم نسيته

الـكـاتـب: تساوينا في النسيان.

زوجــتــه: أنا نسيته لأن الطفل لم يأت!

الـكـاتـب: مازال هناك أمل. وسوف نتذكر المقطع الأخير سوية..

* *

العــريس: *"يخاطب عروسه"*.. عطشانه؟

العــروس: لا.

العــريس: جوعانة؟

العــروس: بالعكس

العــريس: أشتري لك شيئاً

العــروس: ماذا؟

العــريس: نستله مثلاً.

العــروس: كبرنا على النستله. النستلة للأطفال.

العــريس: ماذا تريدين أن أقدم لك؟

العــروس: الأمل السعادة.. الحب.

العــريس: حاضر حين يأتي القطار سنرحل إلى هذا العالم الذي تريدين عالم الأمل والسعادة والحب.

* *

"الرجل الثاني الذي كان نائماً من بين الرجال الثلاثة.. ينهض ويتمشى في المحطة وهو يقترب من الجميع وكأنه يراقبهم ولكن بمهارة وحذق دون أن يشعر أحداً إنه يراقب. يقترب من جماعته ويهمس في أذن الأول.."

الثـــــاني: ما رأيك..؟

الأول : أي رأي؟

الثـــــاني: أسأله عن البورصة..

الثـــــالث: تسأل من؟

الثـــــاني: ذاك - *"يشير إلى الرجل البدين"*

الثـــــالث: اقترح لو تسأله عن النفط.

الأول : لأدع ذلك بعد وصول القطار.. في العربة نتعرف عليه ثم نتفاوض..

الثـــــاني: أنت أكثر منا دبلوماسية!

الثـــــالث: خبرة سوق!

"ساعة المحطة تدق"

الجميع وبأصوات واضحة.. *"دقت الساعة"*

"سيصل القطار"

"الساعة السادسة..."

"الكل ينظر إلى ساعته.. وحين تنتهي دقات الساعة يصرخ الكاتب وأحد الأطفال والعروس والأول" :

"دقت الساعة سبع دقات!!"

الجميع يردد بأصوات واضحة..

"الساعة السابعة.."

زوجة الكاتب: مستحيل

الأول : مستحيل جداً

العريس: مستحيل مستحيل

العروس: "*توشك أن تبكي*" طبعاً مستحيل

الزوج: قبل أن نخرج كانت ساعتنا في البيت تشير إلى الخامسة.

زوجته الأولى: أنا ضبطتها على ساعة الإذاعة.

الثانية: وأنا ضبطتها على التلفزيون والفيديو.

الرجل الثالث: ساعة المحطة هي الأصل. هي الأضبط.

الأول: "*بسخرية*" الساعة الأميريكية ماذا تشير؟

الثاني: يبدو أن عقاربها مكسورة.

الثالث: من الذي قال أن ساعته أميريكية.

زوجة الكاتب: "*تهم بالرد*"

الكاتب: "*يمنعها من الرد*"

الثالث: إذن وقتوا ساعاتكم على ساعة المحطة.

الزوج البدين: وما الفائدة؟

الثالث: حتى نضبط ساعاتنا.

الكاتب: المهم وصول القطار

الجميع: صحيح.

الكاتب: لقد فاتنا القطار.

الأول: القطار جاء في موعده غادر في موعده نحن الذين تأخرنا عليه.

العريس: موعده الساعة السادسة.

الكاتب: وقد وصلنا قبل السادسة بساعة تقريباً

الــــــزوج: ونحن وصلنا قبل نصف ساعة.

العــــريس: ونحن وصلنا قبل السادسة بعشر دقائق.

العــــروس: عشر دقائق بالضبط.

الثــــالث: يا جماعة أنتم تحسبون الوقت على ساعاتكم أنتم ساعة المحطة تشير إلى السابعة وعدة دقائق أما ساعاتنا فتشير إلى السادسة..

الـكـاتـب: يعني هناك خطأ في الساعات..

الثــــالث: في ساعاتنا.. ساعة المحطة هي الساعة التي يتحرك بموجبها القطار أو يتوقف.

الـكـاتـب: مازلت أقول إن هناك خطأ.

"صوت يتعالى في أرجاء المحطة يشير إلى أن الساعة هي السابعة وخمس دقائق..

الوجوه كلها متجهمة والصوت يتكرر أربع مرات..

الزوج البدين: *سأسأل بائع التذاكر.. يخرج"*

* *

يخرج رجل تجاوز الخمسين عاماً يحمل حقيبة قديمة بيده.

الــرجــل: السلام عليكم.

الجـــميع: عليكم السلام

الــرجــل: الحمد لله، القطار لم يأت بعد.

الـكـاتـب: القطار لن يأت..

"تدخل فتاة شابة واثقة من نفسها"

الفـــتـــاة: تأخر القطار..

الرجل الكبير: يتأخر دائماً.. عدة دقائق..

الزوجة الأولى: اليوم تأخر ساعة وعدة دقائق

الفـــتـــاة: موعده في السادسة.. تأخرنا نحن عدة دقائق بسبب المرور..

الزوجة الثانية: انظري إلى ساعة المحطة..

الفـــتـــاة: *"تنظر إلى الساعة"* مستحيل...

الرجل الكبير: *"يضع نظارته وينظر إلى الساعة"* السابعة وسبعة دقائق.. هذا غير ممكن.

زوجة الكاتب: حسبنا دقاتها كانت سبعة.

الفـــتـــاة: غير صحيح.

الثـــالـث: وأعلن موظف المحطة قبل قليل السابعة وخمسة دقائق.

الزوج المدين: "يعود" بائع التذاكر نفذت تذاكره وأغلق الكشك!

الرجل الكبير: معنى هذا أن القطار جاء وغادر المحطة قبل أكثر من ساعة...

الـكـاتـب: نحن جئنا قبل ساعة من موعد وصول القطار..

الثـــالـث: إذا كان اعتمادكم على ساعاتكم فأنتم مخطئون.. وأنا مخطئ أيضاً..

الزوج المدين: اضبطوا ساعاتكم على ساعة المحطة ساعاتنا خطأ.

الفـتـاة: ساعتي مضبوطة.

العـريس: لماذا لا تكون ساعة المحطة غير صحيحة.

الزوج البدين: لأنها ساعة واحدة. وساعاتنا مختلفة

الـكـاتـب: لكننا الأكثرية.

الـثـالـث: ما جدوى الأكثرية إذا كان القطار قد فات.

الرجل الكبير: لابد أن يكون هناك سر..

الفـتـاة: *"تنظر إلى الساعة وتتحرك في أنحاء المحطة..*
خلال أحاديث الآخرين"

الـثـالـث: *"يوجه حديثه إلى زميليه"*
ماذا تقولان؟

الأول : دعونا نتفرج... وننتظر متى ما جاء القطار نركب!

الـثـانـي: ربما غادر القطار المحطة قبل ساعة

الـثـالـث: يأتي غيره

الأول : متى؟

الـثـالـث: تحدده ساعة المحطة.

الزوج البدين: كلام سليم. هذا كلام ذهب. يا جماعة مثلما
قلت لكم اضبطوا ساعاتكم منذ الآن حتى نعرف
موعد وصول القطار الجديد.. هيا.
"يدور على الجميع"

الـكـاتـب: ساعتي تركتها في البيت وهي مضبوطة.

زوجـتـه: سأضيف على ساعتي ساعة حين يصل القطار.

الـزوج: وأنتما..

الزوجتان: غيرنا ساعاتنا منذ أن غيرتها أنت.

"يقترب من الرجال الثلاثة"

الثالث: نحن لدينا رأي..

الزوج: ما هو..

الثالث: قد نعقد معك بعض الاتفاقات..

الزوج: ليس قبل ضبط الساعات.. فقد يضيع علينا الزمن...

الثالث: نحن ساعاتنا في جيوبنا، ونراقب ساعة المحطة.

"يقترب من الفتاة"

الزوج: وأنت يا آنسة.

الفتاة: لن أغير ساعتي. إنها مضبوطة والخلل هنا في هذه الساعة.

الزوج: اسمعوها.. تقول هنا الخطأ.. *"يقترب من العريس"* وحضرتك..

العريس: سنفكر بالأمر..

الزوج: *"يقترب من الرجل الكبير"* وأنت يا عم

الرجل: *"يضحك"*

الزوج: تضحك..

الرجل: نعم أضحك.. إن ساعتي واقفة أصلاً. وهذا سبب تأخر مجيئي إلى المحطة اعتمدت على ساعة صديق لي.

الزوج: والآن كل ساعاتكم مضبوطة على ساعة المحطة "يردد الآخرون عليه.. كل حسب الموقف الذي اتخذه.."

الكاتب: ساعتي تركتها في البيت.

زوجـــتـــه: سأضيف على ساعتي ساعة

الزوجـــتـــان: غيرنا ساعتينا.

الرجل الثالث: نخفي ساعاتنا في جيوبنا

الفـــتـــاة: لن أغير ساعتي.

العـــريـس: سنفكر في الأمر.

الرجل الكبير: ساعتي واقفة أصلاً!

الزوج المدين: اضبطوا ساعاتكم على ساعة المحطة.

"الأصوات تختلط كلها، صوت يعلو على كل الأصوات..

هو صوت الرجل الذي كان غافياً نائماً على الأرض منذ البداية.."

الرجل النائم: ما هذا الصراخ؟ عن أي شيء تتجادلون..

الـكـــاتـــب: ساعة المحطة؟

الرجل النائم: ما بها..

الـكـــاتـــب: صح أم خطأ..

الرجل النائم: لا أدري. أنا لا أحمل ساعة.

الفـــتـــاة: أين كنت قبل ساعة؟

الرجل النائم: أنا هنا منذ البارحة..

الـكـــاتـــب: هل جاء القطار في موعده..

الرجل النائم: القطار لم يدخل المحطة منذ ليلة أمس حتى الآن.. لم يتأخر ساعة واحدة بل ساعات وساعات.. فابحثوا عن كل هذه الساعات..

ابحثوا عن الأسباب التي أحدثت كل هذا الخلل..

دعوني أنام!

"يعود الرجل لينام. الجميع في حالة جمود توقفت كل الساعات!"

---

* - لوحة من مسرحية لم تنته بعد . - ١٩٩٠ -